مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

حالة التراجع المعنوي عند السوريين

الانتشار والتأثير وكيفية المواجهة

تقرير موضوعي للورشة حوارية التي أقامها مركز الحوار السوري بحضور عدد من الباحثين والخبراء والفاعلين في الشأن السوري

http://sydialogue.org/ar/news/126

الخميس 2 شعبان 1441هـ - 26 مارس/آذار 2020 م

الفهرس

المقدمة 2

أولاً: أسباب حالة التراجع المعنوي عند السوريين 3

1-1- الأسباب العسكرية 3

1-1-1 سياسة الأرض المحروقة: 3

1-1-3- حالة عدم الاستقرار عند المقاتلين: 3

1-1-4- مسؤولية هيئة تحرير الشام: 4

1-1-5- أثر شخصية القائد العسكري: 4

1-1-6- أثر الحالة الفصائلية: 5

1-2- الأسباب السياسية 5

1-3- الأسباب النفسية 6

1-4- الأسباب الإعلامية 6

ثانياً : سبل المواجهة واستنهاض الهمم: 8

المقدمة:

منذ اندلاع الثورة السورية في العام 2011، واجه السوريون معركة غير متكافئة على كافة الأصعدة، وقد استطاعت الحاضنة الثورية المعارضة في مراحل عدة التقدم وتجاوز العديد من العوائق، بينما تراجعت في مرحلة لاحقة لأسباب مختلفة، حيث اعتبر بعض المحللين بأن الخسائر العسكرية لقوى المعارضة منذ حصار مدينة حلب لم تكن نتيجة لأسباب عسكرية فقط، فقد كانت الأحياء الكثيفة الأبنية تحمل مقومات الصمود بشكل كبير، إلا أن قوات الأسد والمليشيات الداعمة لها تمكنت من حسم المعركة العسكرية بسرعة مقارنة مع مناطق أخرى صمدت بشكل كبير (كداريا)، حيث أرجعوا هذا الأمر لعدة أسباب من أهمها التراجع في المعنويات.

ومع تجدد الحملات العسكرية التي شنها كل من نظام الأسد وروسيا وإيران على ادلب، المعقل الأخير للمعارضة السورية في نهاية العام 2019، كان تأثير الحرب الإعلامية وحالة التراجع في المعنويات واضحاً بشكل كبير على كل من الحاضنة الشعبية المناصرة للثورة، وعلى المقاتلين الموجودين على الأرض، حيث كانت الشائعات وسيناريوهات المؤامرة والاتفاقيات والخيانات حاضرة بوضوح بين الجميع على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم.

بهدف تسليط الضوء على ظاهرة تراجع المعنويات والحرب النفسية التي حضرت في الفترة الأخيرة، أقام مركز الحوار السوري ندوة حوارية ضمت العديد من الباحثين والناشطين السياسيين والاجتماعيين، وعدداً من الفاعليين الميدانيين، كان هدفها دراسة حالة التراجع المعنوية، ومعرفة أسبابها المباشرة وغير المباشرة، ودراسة تأثيراتها على كافة شرائح السوريين مدنيين كانوا أم سياسيين أم عسكريين، داخل سوريا أم خارجها، بالإضافة إلى تدارس بعض الاقتراحات والخطوات المطلوبة لمواجهة مثل تلك الحالة.

يأتي هذا التقرير الموضوعي للندوة ضمن محورين رئيسيين، حيث يستعرض المحور الأوّل الأسباب التي أدت على تنامي حالة التراجع المعنوي عند جمهور الثورة، فيما يتناول المحور الثاني سبل مواجهة هذه الحالة وتعزيز الحالة النفسية والثبات عند قوى الثورة والمعارضة السورية والحاضنة الشعبية.

أولاً: أسباب حالة التراجع المعنوي عند السوريين:

لا يمكن الفصل بين الأوضاع العامة التي يعيشها السوريون في الواقع، وبين حالتهم النفسية والمعنوية، والتي كانت تتأثر بشكل مباشر بالتداعيات العسكرية والسياسية والإنسانية المتراجعة، إلا أنه يمكن إجمال أسباب تنامي ظاهرة حالة التراجع المعنوي التي تزامنت مع الحملة العسكرية الأخيرة على ادلب في مجموعة من الأسباب أهمها:

1-1- الأسباب العسكرية:

تعتبر التداعيات العسكرية للهجمة الشرسة التي يشنها نظام الأسد المدعوم بالمليشيات الإيرانية والطيران الروسي السبب الأساسي وراء حالة التراجع المعنوي التي سادت بين جمهور الثورة، والذي كان سبباً ونتيجة لتلك الخسائر العسكرية، حيث يمكن توضيح هذه العلاقة المتبادلة في النقاط التالية:

1-1-1 سياسة الأرض المحروقة:

اعتبر أحد المنسقين بين فصائل المعارضة السورية في داخل ادلب بأن السياسة التي اعتمدها نظام الأسد في حربه، والتي تركزت على القصف العنيف والهائل وسياسة الأرض المحروقة من أهم الأسباب لحالة التراجع المعنوي، خاصة مع تركيزه على قصف المدن الأمامية الملاصقة للجبهات فقط بشكل كثيف وعنيف وباستخدام أسلحة متطورة، في محاولة منه لإجبار الناس على النزوح والتراجع للخلف.

وأشار المنسق إلى أن استخدام كل من نظام الأسد وروسيا طائرات استطلاع ورصد بالغة الدقة، مكنها من رصد تحركات مقاتلي المعارضة واستهدافهم بشكل متزايد، وهو ما زاد في نسب الخسائر، وأثر على الحالة المعنوية، خاصة مع طول المحنة.

1-1-2- ضعف الاستعداد والتجهيز للمعركة:

نبه أحد المنسقين بين الفصائل العسكرية إلى أن نمط القتال الأخير أظهر نقطة ضعف عند العديد من فصائل المعارضة السورية، وخاصة فيما يتعلق بنقاط ضعف متعلقة بقصور قدرة المقاتلين وقلة تدريباتهم على حرب المدن وقتال الشوارع، وهو ما كان له دور في إضعاف ثقتهم بنفسهم وبقدرتهم على الصمود.

ومن جهته أكد أحد القادة الميدانيين أن غياب الاستعداد البدني واللوجستي للمقاتل أضعف قدرته على المواجهة في معركة غير متكافئة من حيث التسليح أو التغطية النارية، بالإضافة إلى أن غياب الاستعدادات العسكرية في خطوط المواجهة المحتملة، وغياب التحضيرات للسيناريوهات المختلفة ساهم في إيجاد بعض الخواصر الرخوة، من خلال عدم تجهيز خطوط الدفاع الثانية والثالثة، فتسببت الانهيارات في الصفوف الأولى بخسائر فادحة، وتقدم سريع لقوات الأسد نتيجة عدم وجود خطوط دفاعية ثانوية.

1-1-3- حالة عدم الاستقرار عند المقاتلين:

ساهمت موجات النزوح والتهجير الكثيفة بإضعاف ثبات العديد من المقاتلين، حيث أشار أحد المنسقين بين فصائل المعارضة السورية إلى أن الحملة العسكرية الشرسة، وما تسببت به من إجبار لمئات الآلاف من العائلات

على ترك منازلهم، قد دفعت بالعديد من المقاتلين إلى ترك مواقعهم على الجبهات في محاولة لتأمين عائلاتهم ونقلها إلى مكان آمن، حيث أن العديد منهم بقي مع عائلته ولم يعد إلى جبهات القتال، خاصة مع غياب وجود أي جهة مدنية أو عسكرية ترعى عائلات هؤلاء المقاتلين وتؤمن احتياجاتهم.

ومن جهة أخرى تباينت الآراء حول أثر موجات النزوح الكبيرة للمدنيين على سير العمليات العسكرية في خطوط المواجهة، فقد اعتبر البعض أن خلو المدن من المدنيين سهل على المقاتلين التحرك والقتال في داخلها، وخفف الضغط عنهم والتهديد باستهداف عائلاتهم والذي كان عاملاً له تأثير واضح سابقاً في معارك حلب والغوطة، حيث كان لوجود أعداد كبيرة من المدنيين في مناطق الاشتباكات أثر عكسي على المقاتلين مما أجبرهم على تقديم تنازلات، بينما اعتبر آخرون بأن خلو المدينة من أهلها أوجد حالة من الوحشة في نفسية المقاتل، وفقد معه الدافع الأساسي للثبات والصمود.

ومن جهة أخرى اعتبر باحث بأن غياب الفهم الصحيح لفحوى الاتفاقيات الدولية عند المقاتلين، دفعهم لتصديق بعض الإشاعات التي بثها النظام، في حين أن دخول الأرتال التركية ساهم بشكل ما بزعزعة ثبات المقاتلين على الأرض، حيث بدؤوا بالتعويل على التدخل العسكري التركي، وعلى الأوامر التركية بفتح المعارك، وهو ما أفقدهم التركيز والقدرة على الصمود.

1-1-4- مسؤولية "هيئة تحرير الشام":

توافقت العديد من الآراء على مسؤولية "هيئة تحرير الشام-هتش" عن الانتكاسة العسكرية الحاصلة في ادلب، حيث اعتبر البعض بأن تفكيك "هتش" للفصائل المحلية وسلب سلاحها الثقيل، كسر الحاضنة المناطقية التي كان يمكن لها أن تصمد أكثر في الدفاع عن أرضها، وخاصة أن عودة "هتش" وسماحها لتلك الفصائل بالمشاركة بالقتال لم يترافق مع إعادة سلاحها الثقيل، وبالتالي كانت هذه الفصائل في مواجهة لهجمات حادة دون أن تملك ما يعينها على الصد.

كما أدى استبعاد هذه الفصائل عن مناطقها، ثم السماح لها بالعودة للدفاع عنها إلى ظهور تخوفات عند تلك الفصائل من أن يتم الغدر بها مرة أخرى على يد "هتش"، أو يتم التضحية بها لصالح الفصيل المسيطر، وهو ما أضعف حماستهم للقتال لعدم ثقتهم بالجهة المسيطرة "هتش" خاصة مع وجود تجارب من الاعتداءات الغادرة السابقة التي أدت إلى إنهاء وجودهم.

1-1-5- أثر شخصية القائد العسكري:

أشارت إحدى الباحثات إلى أن غياب صورة القائد الكاريزمية عن الساحة ساهم بشكل ما بإضعاف الروح المعنوية عامة، سواء عند المقاتلين، أو عند الحاضنة الشعبية.

ومن جهته اعتبر أحد الباحثين في الحركات الدينية بأن ما تقوم به بعض الجهات من شيطنة الأجسام والشخصيات السياسية والعسكرية، وتحطيم تلك القيادات في نظر الجمهور نتيجة التركيز على أخطائها فقط

وتضخيمها، أدى بالضرورة إلى فقدان ثقة المقاتل والحاضنة الشعبية بالجهات التي تمثله سياسياً وعسكرياً وكسر هيبته، وقد ظهر انعكاس تأثير هذه الحملات على القيادات العسكرية بشكل أكبر منه على القيادات السياسية، خاصة وأن القائد العسكري الموجود على الأرض معني بالحفاظ على الأراضي وحماية المدنيين وضمان عدم استهدافهم وهي أمور تدخل ضمن حساباته أكثر من القائد السياسي، وبالتالي يمكن الضغط عليه بشكل أكبر.

بينما اعتبر أحد القياديين في قوى المعارضة، أن ظهور حالة من المزاودة بين عدد من قيادات الفصائل بعد الإعلان عن اتفاقية سوتشي، دفعتهم لإصدار تصريحات مرتفعة السقف خوفاً من اتهامهم بالتآمر والخيانة، وهو ما عرقل تطبيق الاتفاقية من طرف المعارضة السورية من جهة، وحملهم المسؤولية عندما لم يكونوا قادرين على تنفيذ ما وعدوا به من جهة أخرى.

1-1-6- أثر الحالة الفصائلية:

ومن جهته اعتبر أحد الناشطين المجتمعيين في الداخل، بأن الانتكاسة العسكرية الحالية هي ثمرة اجتماعية تتجلى بوضوح في الشكل الفصائلي وهي مشكلة عامة لا ترتبط بفصيل معين ولا يتحمل مسؤوليتها فصيل دون الآخر، فحاضنة الثورة مدنية كانت أم عسكرية لم تبنَ على هيكل سليم، وإنما كانت نتاج عقود طويلة مورست فيها سياسة ممنهجة لتدمير بناء الانسان، وبالتالي لم تكن المشكلة خاصة بفصيل أو جماعة وإنما هي باختزال كل الأمة في ذلك الفصيل أو تلك الجماعة.

فيما اعتبر قيادي آخر في قوى المعارضة، أن العديد من القيادات ابتعدت عن عناصرها ولم تلتحم معهم أو تعايش همومهم، بل انشغل بعضهم ببسط نفوذه في المنطقة مهملاً تحصينها وتجهيزها لأي هجمة عسكرية محتملة، أو أرهق نفسه وعناصره بمعارك جانبية مع فصائل أخرى مما أفقد ثقة مقاتليه به وبأهليته للقيادة.

وأكد هذا القيادي بأن الكثير من الهزائم النفسية او حتى العسكرية كان يمكن تفاديها بقليل من التنظيم والتخطيط، خاصة وأن القوى الصغيرة بإمكانها الصمود والثبات وتعزيز الروح المعنوية وتكبيد العدو الخسائر فيما لو كانت مستعدة وتحضرت سابقا لكل الاحتمالات الممكنة.

1-2- الأسباب السياسية

واعتبر احد القياديين في قوى المعارضة أن ضبابية الموقف الدولي، وتضارب التصريحات الروسية الدولية، كان لها الأثر الكبير في الإيحاء بأن هذا التراجع على الأرض ما هو إلا نتيجة لاتفاق مرسوم في وقت سابق، وبالتالي لم يجد المقاتل الذي اقتنع بهذه الفكرة أي فائدة من الثبات والصمود لما يعتبره صفقة دولية، هو ضحية فيها.

ومن جهة أخرى أشار أحد الناشطين السياسيين أن المبالغة بالوعود والإنجازات والتغريدات والتسريبات والتعويل على بعض الأطراف الدولية التي قام بها بعض القادة العسكريين والشخصيات السياسية بشكل غير منضبط وغير مدروس أعطى نتيجة عكسية خاصة بعد أن أعقبها خسائر ميدانية على الأرض، وهو ما أفقد الثقة بأولئك القادة ومدى مصداقية ما يقولونه.

واعتبر هذا الناشط أن ضعف الأداء السياسي لممثلي المعارضة السورية، وعدم قيامهم بأدوارهم المنوطة سواء تلك المتعلقة بالتحشيد أو الضغط على الفاعلين الدوليين أو تعليق مشاركتهم في العملية السياسية والاكتفاء بأخذ أدوار المحللين والمتابعين عن بعد ساهم أيضاً في تعزيز إشاعة وجود صفقة سياسية لا يمكن لأحد التأثير بها.

1-3- الأسباب النفسية

تأثرت الحاضنة الشعبية في ادلب، بالتقدم السريع لقوات النظام، والذي أدى إلى تراجع معنوياتها خاصة مع الانتشار الكبير للشائعات والتحليلات التي لا أساس لها من الصحة ، حيث اعتبر أحد الباحثين أنه من الطبيعي ان تترافق الخسائر العسكرية على الأرض بحالة من الهزيمة المعنوية بين العامة.

ومن جهة أخرى اعتبرت إحدى الباحثات أن صور موجات النزوح والأرتال الممتدة للمدنيين والمناشدات المتكررة من الفرق التطوعية والتي غزت الساحة الإعلامية، ساهمت بإضعاف المعنويات وأظهرت حالة من الجزع المبرر بين المدنيين، وهو ما انعكس على نفسية المقاتل أيضا الذي انشغل بنقل عائلته أو تأمينها وعلى نفسية الحاضنة الشعبية التي وجدت نفسها عاجزة أمام هذه الاحتياجات الإنسانية المتزايدة التي لا يوجد ما يستوعبها.

بينما رأى أحد الباحثين أن التراجع الكبير في بعض المناطق دون قتال -خاصة مع كونها مناطق استراتيجية لها طبيعة صعبة ووعرة لم يكن من المتوقع أن تسقط بمثل هذه السهولة-، كان له دور في إضعاف معنويات الحاضنة التي بدأت بتوجيه اللوم وأصابع الاتهام للمقاتلين، واتهامهم بالتفريط، وهو أمر لم يظهر سابقاً في حالات مماثلة كمدينة "داريا" حيث أن الناس وقفوا مع مقاتليها واعتبروهم أبطالاً بسبب صمودهم حتى النهاية.

1-4- الأسباب الإعلامية

اعتبر أحد قادة قوى الثورة والمعارضة أن الإعلام الثوري غير المنضبط ساهم في تصعيد حالة تراجع المعنويات، من خلال تركيزه على الخسائر والهزائم فقط، والترويج للشائعات والاتهامات بالخيانة، وهو ما تسبب أحيانا بسقوط بعض المناطق لمجرد وقوعها تحت شبهة حصار.

ومن جهتها اعتبرت إحدى الباحثات إلى أن المعركة العسكرية الأخيرة طالها الكثير من الفوضى الإعلامية، وذلك لغياب قناة إعلامية عسكرية موحدة لقوى الثورة والمعارضة تكون مصدراً موثوقاً للمعلومة، على حساب انتشار العديد من المعرفات المجهولة التي كانت تستند في معلوماتها إلى المراصد أو إلى بعض الإشاعات، في حين -على الطرف المقابل- كانت الإدارة الإعلامية ل"هتش" أكثر تأثيراً، حيث أنها أوحت للجمهور بأنها تدير المعركة بشكل كامل رغم أنها استلمت بعض المحاور فقط، كما أنها تمكنت من نسب الكثير من الانتصارات العسكرية، سواء على مستوى الإغارات أو قدرتها على صد التقدم ونسبته لها ولعناصرها فقط، دون الإشارة لدور فصائل أخرى، وهو ما عزز سردية كل من نظام الأسد وروسيا بأنهم يقاتلون جماعات إرهابية في ادلب متمثلة ب"هتش".

ومن جهته اعتبر أحد الباحثين أن قادة الفصائل العسكرية أيضاً ارتكبوا العديد من الأخطاء في إدارة المعركة إعلامياً، فمنهم من غلب على خطابه الحزن والانكسار في وقت كان يتوقع منه خطاب حماسي يرفع المعنويات، ومنهم من استخدم الخطاب الديني في غير محله، بينما كان يتوقع منه التركيز على الخبر العسكري، وحتى بيانات الجيش الوطني لم تكن على النحو المطلوب وإنما كانت مجرد أخبار عسكرية لم تحمل رسائل لا للحاضنة الشعبية ولا للمقاتلين ولا للخارج.

بينما اعتبر قيادي آخر أن المنظومة الإعلامية التابعة للفصائل أغفلت الاستفادة من الكثير من الأحداث التي كان بالإمكان استثمارها، كانشقاق بعض عناصر التسويات والتحاقهم بالمناطق المحررة، حيث كان بالإمكان إعادة التركيز على فكرة الانشقاقات وتنميتها بين صفوف المقاتلين في الطرف الآخر.

ثانياً : سبل المواجهة واستنهاض الهمم:

يدرك السوريون أن المعركة التي أجبروا على خوضها ليست معركة عادلة ولا متكافئة، إلا أن هناك الكثير من العوامل التي اعتبرها الحاضرون في الندوة الحوارية ذات أهمية وتأثير في تعزيز صمود الحاضنة والمقاتلين على حد سواء، حيث يمكن تلخيص أهم العوامل التي يمكن من خلالها مواجهة الحرب الإعلامية بما يلي:

على مستوى مؤسسات الثورة:

1- مراعاة أن ما يحدث من تغيرات في المعنويات هو أمر نفسي طارئ وغير متجذر، حيث أن تغير سير المعارك قادر على قلب هذا التراجع النفسي إلى الطرف المعاكس.

2- إعادة النظر في إدارة المعركة إعلامياً وميدانياً من خلال تقوية مؤسسات الجيش الوطني والحكومة السورية المؤقتة وغيرها، و التحضير القتالي والميداني الجيد للمقاتلين، والاستعداد التام لكافة السيناريوهات المحتملة.

3- اعتماد سياسة إعلامية مدروسة في إدارة الأزمات وخاصة الأزمات التي تتعلق بالأعمال العسكرية وذلك من خلال:

- ✓ توجيه الاهتمام بشكل كثيف على الخسائر التي تكبدها العدو خلال الحملة الأخيرة وما سبقها، بدلاً من التركيز على سقوط المناطق.
- ✓ عدم الاستسلام لفكرة الخسارة الميدانية والجزم بأن هذه المناطق ذهبت بدون رجعة، بل استذكار العديد من المناطق التي خسرتها الثورة لفترات ثم استعادتها كمارع واعزاز، واستذكار الكثير من الهزائم التي مرت بها الثورة واستطاعت تجاوزها.
- ✓ اعتماد الخطاب الإعلامي الذي يرفع المعنويات، و التركيز على المبادئ التي خرجت من أجلها هذه الثورة وأن المعركة الحالية هي معركة بين شعب يطالب بحقوقه المشروعة ولن يتوقف عن ذلك مهما كانت الخسائر.
- ✓ تسليط الضوء على الشخصيات القيادية المتميزة وعلى مشاركتها الفعالة في القتال وفي إدارة العمليات وفي تثبيت المقاتلين والحاضنة الشعبية.
- ✓ الاهتمام المتزايد بشرح الأوضاع الميدانية الحالية حتى في حالة الخسائر وذلك للحفاظ على الارتباط مع الحاضنة الشعبية.
- ✓ التذكير الدائم بمشاكل النظام وتناقضاته ومشاكله الداخلية وان هذا الانجاز العسكري ليس من انجازه انما من انجاز الاحتلال الذي اتى به، ويمكن استغلال ذلك بالحرب الاعلامية ضده.
- ✓ التصدي للحملات التي يقوم بها الجيش الالكتروني لدى النظام من خلال متابعة الأخبار الكاذبة والاشاعات وتقديم الخبر الصحيح من مصادره.
- ✓ إجراء مسح لمصادر المعلومات الموثوقة والترويج لها بين العامة.

4- . وضع الخطط المسبقة لاستيعاب موجات النزوح المتوقعة في منطقة جغرافية مكتظة سكانياً، والبحث في أولويات تأمين عائلات المقاتلين وكفالتهم قبل وخلال القتال، والاهتمام بالجرحى والمرضى ،وهو ما يمكن أن تقوم لجنة طوارئ من المجالس تنسق مع الجهات الداعمة والمهتمة من جمعيات وغيرها.

على مستوى الأفراد والمنظمات غير الحكومية:

1. التركيز على عملية البناء في الأمة كمشروع في مواجهة الهزائم وعدم الإغراق في جوانب الخلاف والتوصيف وتقاذف المسؤوليات، والتحول من الحالة الفصائلية أو حالة الجماعات المتشرذمة إلى واقع أمة يجمعها أكثر مما يفرقها.
2. الاعتدال في الخطاب وعدم الجنوح إلى المبالغة أو التهويل، والتركيز على الخطاب الإيماني الفاعل لا المخدر.
3. التركيز على بناء الشخصية السورية القوية المعتزة بدينها، والتي تملك وضوحاً في الهدف والغاية والقادرة على تحديد أولوياتها، والتي تؤمن بضرورة التغيير الذاتي وتتعامل مع الأحداث بإيجابية وفقاً لمتطلبات التربية الإيمانية السليمة التي تشجع على بذل الجهد وعدم التواكل أو الاعتماد على النتائج
4. الانتباه إلى اتباع أساليب تربوية صحيحة، تنمي العزة والأنفة والمبادرة وتبعد ثقافة الذل والخنوع والإهانة، وتعزز الإحساس بالهوية والانتماء للوطن والثبات على الحق.
5. نشر الثقافة النفسية الصحيحة وآليات تعزيز وتقوية الصلابة النفسية في مواجهة الضغوط والأحداث كيفية مواجهة الشائعات، وضرورة استخدام التفكير النقدي وعدم التسليم الأعمى بما يسمعه المرء من اخبار وتعلم مهارات التوثق من الأخبار.
6. إشراك النساء في عمليات الدعم والتثبيت، من خلال مبادرات فردية أو جماعية تقوم بها النساء لتثبيت المقاومين والحاضنة الشعبية على حد سواء.